

مقدمة كتاب العلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل للدين أعلاماً ، ولالحق منابر و أقلاماً ، وجعل أهل العلم في الدجى مصابيح ، وصدورهم لما في بطون الكتب خزائن ومفاتيح ، حملوا من بين خلق الله لواء السنة ، وكانوا سيوفاً وخناجر في خاصرة الفتنة .

هم أهل النبي لا بالنفس لا بل بالأنفاس ، تشرفوا باتباعه فضلاً عن شرفهم بـ **{ كنتم خير أمة أخرجت للناس }** ، فكانوا للهدى هم المنارات والنبراس .

قدّموا كلام الله ورسوله فكانا لهم الراية و الدليل ، ونهجوا سبيل الصحب وماشاققوا ؛ فإن سبيلهم هو السبيل .

بدلوا لأجل رفعة السنة الغالي والنفيس . ودفعوا في صدور المبتدعة وأهل الرفض المناحيس ، فما كان يرى لهم راية أو يسمع لهم حسيس. نهضوا في عصر تشعبت فيه الفتن ، وكثرت فيه المحن ، وامتألت القلوب بالضعف والوهن ، فما تواكلوا أو تكاسلوا ؛ بل على الله توكلوا وبالعلم والهدى اشتدوا وتباسلوا .

رغبوا فيما عند الله من أجر ، وقضوا في العلم والدعوة أعمارهم ؛ فنعم ما يقضى به العمر . وزهدوا في الفانية ولم يلهم مافيه من زخرف وسحر ، فأنتهم راغمة فطلقوها وأداروا لها الظهر . ولسان حالهم يقول: يادنيا غري غري ، غري غري ؛ كما قالها علي بن فهر .

وصلى الله وملائكته والخلق أجمعين ، صلاة موصولة إلى يوم الدين ، على الرحمة المهداة للعالمين ، محمد بن عبد الله النبي العربي الأمين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد ؛ فقد كان شيخنا الشيخ مقبل بن هادي الوادعي - رحمه الله - أحد هؤلاء الأعلام الذين جاهدوا في الله حق جهاده وقضى عمره في العلم والدعوة دون كلل أو ملل ، وترك آثاراً عظيمةً تدل على ما قدّمه من دعوة وخير للإسلام والمسلمين ، ومن هذه الآثار كتاب " الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين " ، وهو كتاب عظيم في باب ، نافع في مضمونه ، وقد رصيه وأقبل عليه طائفة من العلماء وطلبة العلم ، فلذلك أحببت تتميم الفائدة بالكتاب بشرحه شرحاً مبسراً مختصراً . وأسأل الله - سبحانه وتعالى - أن ينفعني به والمسلمين في الدنيا والآخرة .

بدأ شيخنا - رحمه الله - كتابه بكتاب العلم ؛ اقتداءً بكتاب الله تبارك وتعالى؛ حيث كانت أول آية نزلت منه : قوله تعالى : **{ اقرأ باسم ربك ... }** [العلق:1] ؛ وهي تحت على العلم ، كما نبه على ذلك في مقدّمة كتابه .

ولقد كان - رحمه الله - حريصاً على اتباع الكتاب والسنة ، وحريصاً على أن لا يعمل عملاً إلا وله فيه دليل من الكتاب أو السنة .

وسأبدأ - إن شاء الله - بشرح هذا الكتاب النفيس ؛ خدمة لسنة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وتتميماً للفائدة بعمل شيخنا - رحمه الله . - وسأقدم شرح المتن على شرح الإسناد ؛ لأن الكثير من الناس لا يهتمهم النظر في الإسناد ، وإنما يهتم طائفة منهم ، والأكثر يهتمون بمتن الحديث ليفهموا المراد منه .

وسأحاول في شرحي هذا أن لا أطيل ؛ حيث إن المقام لا يتسع لذلك ، وفي الوقت ذاته ؛ لن أختصر اختصاراً مخللاً بالمقصود ، والله الموفق لكل خير .

(كتاب العلم (1)

كتاب : الكتاب في اللغة هو الجمع : يقال : كتبت الشيء ، أي : جمعته ، ومنه الكتابة، وهي جمع الحروف بعضها إلى بعض .

واصطلاحاً : اسم لجملة مختصة من العلم مشتملة على أبواب وفصول غالباً .

العلم لغة : ضد الجهل ، والمراد هنا : العلم الشرعي : وهو علم ما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم من البيّنات والهدى .

قال شيخنا مقبل الوداعي - رحمه الله - :

(فضل أهل العلم)

أي : هذا باب نذكر فيه الأحاديث التي تبين فضل أهل العلم .

والباب في اللغة ؛ هو : الطريق إلى الشيء والموصل إليه . وباب المسجد والدار ؛ ما يدخل منه إليه .

وفي الاصطلاح : اسم لجملة مختصة من الكتاب .

فضل أهل العلم : أي إثبات خيرية علماء الشريعة ومنزلتهم الرفيعة . وقد ثبت فضلهم بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة ، ذكر شيخنا - رحمه الله - شيئاً من السنة في ذلك ، ونحن نذكر بعض الآيات ؛ الدالة على ذلك من باب تكثير الأدلة : قال الله - تبارك وتعالى - : { **إنما يخشى الله من عباده العلماء** } [فاطر : 28] . وقال : { **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات** } [المجادلة : 11] . وقال : { **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون** } [الزمر : 9] . وقال : { **وقل رب زدني علماً** } [طه : 114] . هذه الآيات تدل على فضل العالم ومكانته عند الله - تبارك وتعالى - ، وأنه رفعه درجات في الدنيا والآخرة فيبقى ذكره في الدنيا ، ويرفعه في الآخرة . وكذلك تدل على عدم تسوية العالم بغير العالم ؛ بل العالم أرفع منزلة . ومن صفات العالم أنه يخشى الله - تبارك وتعالى - ، فمن لم يتحقق فيه الخشية ؛ لا يكون عالماً مستحقاً هذه الفضائل ، ولو حصل ما حصل من العلم ، ولا يوثق به ولا يعلمه ، ولا يبارك له فيه . إذا علمنا مكانة العالم وفضله ؛ فينبغي علينا معرفة من هو العالم ؛ كي ننزله منزلته التي أنزله الله إياها ، وقد حصل تخبط شديد في زمننا هذا - بسبب شدة جهل أهل هذا الزمان وبعدهم عن دينهم - في معرفة من هو العالم ، وعمّن يؤخذ الدين ، ومن يولّى أمر الإفتاء في المسائل الشرعية الحادثة وغير الحادثة ، فالناس اليوم اتخذوا القصاص والوعاظ والخطباء علماء ؛ يستفتونهم فيما دقّ وجل من المسائل النازلة بهم ، وأولئك ذاقوا طعم الرئاسة والوجاهة فأفتوا فضّلوا وأضلّوا ، مصداقاً لما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم : " إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور العلماء ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ... " (2) فنحن نعرّف العالم { **ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة** } [الأنفال : 42] . قال ابن القيم - رحمه الله - :

"العلم معرفة الهدى بدليله ... ما ذاك والتقليد يستويان " . قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين (3) : " فالعالم هو الذي يعرف **العلم الحق بالدليل** ، والعلم قد يكون علماً واسعاً يعرف الإنسان غالب المسائل ، **وما لا يعرفه منها فعنده قدرة على معرفتها** " قلت : ويعرف العالم بتزكية العلماء له وثنائهم عليه ؛ فغير العلماء لا يستطيعون التمييز بين العالم وغيره ممن يتكلم في علوم الشريعة ، والواجب على كل مسلم أن لا يسأل في أمور دينه إلا شخصاً يثق بعلمه ودينه ، ولا بد أن يجتمع في العالم حتى يكون أهلاً للسؤال عن دين الله ، ولا يكفي واحد منهما ؛ لأن تخلف واحدٍ منهما يؤدي إلى الضلال ؛ لأن الفاسق لا يتورّع عن الفتوى بما تهوى نفسه أو لأي غرض غير صحيح ، والجاهل لا يستطيع أن يصل إلى الحق الذي أراده الله . ودليل شرط العلم قول الله تعالى : { **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** } [النحل : 43] ، ودليل شرط العدالة قوله : { **إن**

جاءكم فاسق بنياً فتبينوا } [الحجرات: 6]، فمقتضى هذه الآية : قبول خبر العدل ورد خبر الفاسق . وقد
أطلت البحث في هذا الموضوع لعظم حاجة الناس إليه ، والله الموفق للحق والصواب .

1- ما وضعته بين قوسين ؛ فهو متن كتاب " شرح الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين "

2- أخرجه البخاري في " صحيحه " (100) ، ومسلم في " صحيحه " (2673) .

3- لقاءات الباب المفتوح .